المقدمة

العصر العباسي ــ كما هو معروف ــ اسم يطلق على فترة زمنيّة طويلة تزيد على خمسة قرون تبدأ من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ.ق و تنتهي بسقوط بغداد في أيدي التتـــار سنة ٦٥٦ هـ.ق.

هذه الفترة الطويلة قد قُسِّمت في برامجنا الجامعية لمرحلة الليسانس إلى قسمين أو درسين يُدرس في أوّلهما المئتان الأوليان من الحكم العباسي من سنة ١٣٢ الـــى ٣٣٤ و سُمِّي «تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي (١)» و في ثانيهما المئات الباقية أي من سنة ٣٣٤ الى ٦٥٦ و سمّي «تاريخ الأدب العربي في العصر العباســـي (٢)» و هـــذه الفترة الزمنيّة هي التي درسناها في كتابنا هذا، و فيها تبدو الـــبلاد الإســـلامية مـــسرحاً لأحداث و تطورات خطيرة أهمّها تجزئتها إلى إمارات و دول تطول و تقصر فـــي مـــدّة حكمها و تضيق و تتّسع في سعة سيطرتها و هي تجزئة انتهت إلى لامركزيّة في العلم و الأدب أو قل إلى تعدّد في مراكز العلم و الأدب.

و قد قسّم مؤرخوالأدب العربي القرون الخمسة العباسية (١٣٢ــ٦٥٦) تقـــسيمات مختلفة إلا أن معيار التقسيم في أكثرها بل في كلِّها واحد و هو التاريخ السياسي و ذلـــك إذا غضضنا النظر عمّن رفض التاريخ السياسي كمعيار لتقسيم الأدوار الأدبيـــة[١] و عـــن جدالهم اللفظي في التّسمية: هل يصحّ أن نسمّي أدوار ضعف الخلافة العباسية أي المئـــة الثالثة و الرابعة من حكمهم عباسية أولا؛ لأنّ أثر السياسة في تعيين مـــصير الإنـــسان و المجتمع وما يتّصل بهما من الفكر و الثقافة و الحضارة بحيث لايقبل الشكّ؛ نعـــم هنـــاك عوامل أخرى غير السياسة إلاّ أنَّ السياسة قوةً و ضعفاً أهمّها و أشدّها تأثيراً. ثم إنّ الأخذ

---

١. راجع: بلاشير، ريجيتس، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دارالفكر، بيـــروت، ١٩٨٤هـ /١٤٠٤، ص ١٢ــ١٣؛ و حسين، طه، *المجموعة الكاملة، الأدب و النقد ١*، بيروت، الشركة العالميـــة للكتاب، ٣٩/٥.

بهذا المعيار يسهّل طريق البحث بوضع حدود تاريخية للدّراسة، لذلك رأينا في هذا الكتاب أن نذهب مذهب الجمهور في تقسيم تاريخ الأدب العربي حسب التاريخ السياسي.

و بما أنّ الحالةَ السياسية في الفترة التي نحن بصددها كانت متفاوتة بحسب الدول و الإمارات التي تحكم البلاد الإسلامية ثمّ إنّ عمر هذه الدول و الإمارات قد يطول و يقصر فقد رأينا من الأفضل أن نأخذ ذلك المنهج الّذي اعتمد عليه مؤرخوالأدب العربي القدماء كأمثال الثعالبي في *يتيمته* و العماد الإصفهاني في *خريدته* و الّذي منه استلهم الاستاذ شوقي ضيف في تأليف كتبه المسمّاة بعصر الدّول و الإمارات، كركيزةٍ من ركائز بحثنا و هو دراسة كل بلد من البلدان الإسلامية بصورة مستقلة عن سائر البلاد.

لذلك قرّرنا أن ندرس الأقاليم الآتية باعتبارها المراكز الرّئيسية للعلم و الأدب طيلة القرون الثلاثة من سنة ٣٣٤ الى ٦٥٦ و هي إيران و العراق و الشام و مصر و جزيرة العرب و صمّمنا على ترك الأندلس في هذا الكتاب، لأسباب منها أنّ هذا الكتاب يتناول بالبحث بلاداً متباعدةً طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون فلا يسع المجال لدراسة الأندلس التى تحتاج بدورها إلى كتاب مستقلّ. ثم إنّ كلّ كتاب مدرسي يؤلّف حسب الأهداف المرسومة له و يجب أن يتناسب والخطّة الدراسية فكتابنا هذا عبارة عن وحدتين درسيتين لمرحلة الليسانس و الغرض منه أن يعرف طلاّب اللغة العربية الأدبَ العربي و تطوّره و ميزاته و أعلامه عبر القرون الثلاثة المنسوبة إلى العباسيين و الأدب الأندلسي لا يمتّ إلى العباسيين بأيّة صلة؛ لذلك قسّمنا الكتاب إلى خمسة أبواب، لكلّ بلد من البلاد الآنفة الذكر باب و صدّرناه بتمهيد تناولنا فيه مقدّمات رأينا الإلمام بها ضروريّا لدارس تاريخ الأدب العربي في الفترة المعنيّة و قدّمنا إيران لسببين: أوّلهما أنّ أكثر التطوّرات السياسية بدأت بها و منها تسرّبت إلى العراق و غيرها، و ثانيهما أهمية شأنها العلمي و الأدبي في هذه الفترة. أمّا محاور البحث في كل باب فهي:

اوّلاً: مقدّمات تمهيدية في الحياة السياسية و الاجتماعية و الفكريّة على مدى القرون الثلاث التي نحن بصددها؛ ففي الحياة السياسية درسنا الأسر الحاكمة و كيفية حكمها. و في دراسة الحياة الاجتماعية تناولنا بالبحث مسألة الفقر والغنى في المجتمع و طبقات الناس و جانب المعتقدات و المذاهب و تيّار الزهد و المجون. و في البحث عن الحياة الفكرية ألقينا الضوء على مختلف العلوم و فروعها و أعلامها و نتاجهم العلمي.

ثانياً: الشعر و أغراضه و ميزاته و أعلامه في الفترة المعنيّة. ففي هذا المحور

من كل باب أوّلا درسنا الشعر دراسة كلية ثم انتقلنا إلى تبيين خصائصه الفنية من التصوير و البديع و ما إلى ذلك ثم تحدَّثنا عن موضوعات الشعر كالمدح و الرثاء و نحو ذلك و بعدئذٍ وصلنا إلى أعلامه. و في دراسة كلّ علَم لاحظنا شيئين: هما شخصيّته و أدبه.

ثالثاً: النثر و أنواعه و ميزاته و أعلامه. ففي هذا المحور أيضاً قمنا أوّلا بدراسة النثر دراسة كلية تشتمل على بيان أنواعه من النثر العلمي و الأدبي ثم توسّعنا في بيان ميزاته و في النهاية مضينا في درس أعلامه، حياتهم و أدبهم.

و واضح أنّ تقسيم أبواب الكتاب حسب البلدان المختلفة لا يعني أنّنا ندرس كل بلدٍ منقطعاً عن البلدان الأخرى لانّ البلدان الإسلامية و إن كانت مختلفة بحسب الأسر المسيطرة عليها، اشتركت في الاتّجاهات الفكرية و الأدبية. لذلك حاولنا ما أمكن أن نُلْقي الضوء على العلاقات الأدبية بين البلاد المختلفة و ذلك بأن ربطنا بين المباحث السابقة و اللاحقة في أوجه التشابه و التّفاوت و عواملها.

أمّا معيارنا في وضع كل علم في بابه فإنّ مؤرخيالأدب العربي قد اختلفوا في بعض الشخصّيات فمثلاً نرى بعضهم يجعل المتنبي في قسم الشام و بعضهم يجعله في قسم العراق و كذلك في العماد الإصفهاني و الأمثلة على ذلك كثيرة؛ لأنّ الأقاليم الإسلامية و بلدانها إن اختلفت بحسب الفواصل الجغرافيّة و الخرائط السياسية، كلّ واحد منها كان عضواً من جسم الوطن الإسلامي الكبير الذي يتنقّل بينه العلماء و الأدباء فلم يكونوا يستقرّون في مكان؛ فكان إذا نبأ بأحدهم بلدٌ او رأى آفاقاً أفسح في بلد تركه إلى آخر يُلقِي فيه عصا التسيار آماداً بعيدة قد تكون الجزءَ الأهمَّ من حياته الأدبية أو العلمية إمّا بسبب طول مدة إقامته فيه و إمّا بسبب أنّها أغزر مراحل حياته الأدبية أو العلمية؛ لذلك لم يلحظ بعض مؤرخيالأدب العربي منشأ الشاعر أو الأديب و مرباه في وضعه في زمرة أعلام بلد دون بلد بل لاحظ الجزء الأهمّ أو الأغزر من حياته الأدبية. لكنّنا رجّحنا اعتبار المنشأ و المربَى في وضع كلّ واحد منهم في بابه لأنّه هو المكان الذي تكوّنت فيه شخصياتهم فتأثير البيئة في تكوين شخصّية الإنسان مما لا شكّ فيه.

و قبل الختام فهذا الكتاب حصيلة سنوات متتالية من المطالعة و التدريس في تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي؛ مع ذلك فإنّه لا يخلو من هفوات و نواقص مرجع بعضها ضيق الوقت و الآخر قصور المؤلّفة فالكمال لله تعالى و هو ولّي التوفيق؛ لذلك أتقدّم بشكري سلفاً لكلّ من يسدّدني نحو الصواب و الكمال بإبداء ملاحظاته ولاسيما

إخواني الأساتذة المعنيين بتدريس تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي و في الختـــام أقدّم جزيل شكري لكلّ من شاركني بالتشويق و المساعدة في هذه المحاولـــة و بخاصّـــة العالم الجليل الأستاذ محمد فاضلي ثم أخواتي الطالبات زينب أسدي و منيـــره خوبـــان و عطيه ميرزائي. و آخِرِ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

مرضيه آباد
عضو هيئة التعليم
في
جامعة الفردوسي بمشهد